

مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠)

أ.م.د. مشحن زيد التميمي / كلية الآداب / جامعة المستنصرية

م. حسام گصاي / كلية العلوم السياسية / جامعة تكريت

مقدمة

قدم الفكر السياسي والاجتماعي والديني للإمام الشهيد محمد باقر الصدر تصورات وطروحات هامة وشاملة لكثير من القضايا الإسلامية المعاصرة، الأبرز في ذلك أنه قدم رؤية واقعية ابتعدت عن الطوباوية والفوقية، خصوصا في مفهوم التسامح في الفكر الإسلامي، التجديد، النهضة، التصالح، وعن مفهوم الآخر في منظور الإطار الاجتماعي ودخل الدين الواحد انطلاقا من قاعدة احترام الآخر، والدعوة للوحدة ونبذ التفرقة والعفو والتعاطف والتآخي كأحد أهم مرتكزات التسامح التي جاء بها الإسلام، حيث تعمقت كتابات الإمام الشهيد في هذا المضمار، وعن عطائه العلمي، والثقافي، والروحي، والأخلاقي، والاجتماعي، وعن جهاده من أجل الإسلام والدين، والمسلمين بكل انتماءاتهم.

فهو داعية وحدة ومحبة وتسامح، كان في خطابه يقول دائما: (بذلت وجودي؛ من أجل السنّي، والشيوعي معا)، وكذلك: (فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيوعي، وأنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام) فهو لا يضع فواصل بين المسلمين دام تعلقهما بحب الإسلام وهذا قلما نجده عند مراجع دينية ومفكرين سياسيين، ومن هنا نلتمس التسامح وشغفه ودعوته لوطن واحد آمن ومستقر وهذا ما نتوق للاستفادة منه في تجربتنا للوحدة الوطنية والمصالحة حول إمكانيات تطبيق منهج الإمام الشهيد.

ولعل الندرة في التركيز على فكرة التسامح في فكر الإمام الشهيد هي أحد دوافع الكتابة عن الموضوع وحاجتها لحوار مذاهب حقيقي تحت خيمة العراق الواحد الموحد هو دافع آخر، ثم اهتمامه بمحور الأنا والآخر لكونها ذات صلة بالموضوع، ارتأت الدراسة هنا أن تناقش هذه الورقة تلك الفكرة انطلاقاً من تحديد إشكالية بحثية والتي تتمحور حول ما هي مرتكزات التسامح في فكر الإمام الشهيد، وتنبثق عنه أسئلة فرعية أخرى من قبيل: ما هي شروط التسامح في فكر الإمام الشهيد، ما هي الرؤية العلمية للتسامح في فكر الشهيد، وكيف يمكن استقاء التجربة وتطبيقها على ضوء الواقع من أجل عراق واحد وموحد وأمن ومستقر.

أما منهج البحث فسوف تركز الدراسة على منهج تحليل الخطاب إضافة لمنهج التحليل النقدي، أما أهداف البحث فهي: ١_ محاولة توضيح فكر التسامح عند الإمام الشهيد، ٢_ محاولة الاستفادة من تجربة الإمام بتطبيقها في ضوء الواقع الراهن، ٣_ أن الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية يتحتم التأكيد على فكرة التسامح خصوصاً في تجربة الإمام الشهيد.

أما محاور الدراسة فقسمت إلى خمسة محاور، المحور الأول: الإمام الشهيد: حياته ونشأته وظروفه، المحور الثاني: الفكر السياسي للإمام الشهيد، والمحور الثالث: مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد، والمحور الرابع: إمكانية تطبيق منهج الإمام الشهيد على الوضع الراهن ومحاولة الاستفادة منه لبناء دولة مواطنة حقيقية. كلمات مفتاحية: التسامح، الأنا، الآخر، الوحدة، المواطنة، الشهيد الصدر.

المحور الأول: الإمام الشهيد: حياته ونشأته وظروفه

ولد الإمام الشهيد محمد باقر الصدر في العراق/ بمدينة الكاظمية _ ذات الطابع المقدس _ ببغداد في ٢٥ ذو القعدة من العام ١٣٥٣ هـ المصادف ١٩٤٣، أخته بنت الهدى

الصدر ووالد زوجة الزعيم المعروف مقتدى الصدر، وابن عمه محمد صادق الصدر وإمام موسى الصدر، وهو مرجع ديني ومفكر وفيلسوف إسلامي عراقي مثلما كان والده حيدر الصدر رجل دين رفيع المستوى.

بدأ الدراسة في سن الخامسة من عمره وبدأت علامات النبوغ والعبقريّة عليه مبكراً، أّتجه إلى الدراسات الدينية في الحوزة العلمية، ثم ما لبث أن أخذ يدرس بدون استاذ أو موجه، درس الأسفار والفلسفة، وكذلك درس المنطق في سن الحادية عشرة، وفي سن الثانية عشرة شرع بدراسة كتاب معالم الأصول لأخيه أسماعيل الصدر.

وعند بلوغ الرابعة عشر هاجر إلى مدينة النجف الأشرف قاصدا حضور دروس البحث عند خاله محمد رضا آل ياسين، والسيد الخوئي، برز أسما لامعا في الحوزة حتى حصل على الاجتهاد في سن الثامنة عشر، ويقال إنه حصل على الاجتهاد قبل بلوغه ولهذا لم يكن مقلدا لأي أحد من المراجع الدينية.

بدأ يلقي دروسه وهو لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرون، حتى تسنم ذرى المرجعية في منتصف السبعينات في الأربعين من عمره الذي أفناه في سبيل العلم والبحث والدراسة.

أستطاع الإمام الشهيد أن يعيش العصر ويضع لنفسه حضورا في قمة العلم والثقافة^١ حمل فكرا نيرا تجاوز حالة الجمود والانغلاق التي اتسم بها عصر الصحوة الدينية والمد الإسلامي _ ذلك ما قبلها _ التي غزت العالم العربي والإسلامي بعد نكبة ١٩٦٧، قدم رؤى وطروحات المفكر السياسي والمصلح الديني شأن المجال الذي برع به الإمام جمال الدين الأفغاني، وتنوعت أفكار الإمام الشهيد بين التجديد، النهضة، الإصلاح، التغيير، حملت طابع إنساني نابع عن مرجعية آل البيت الأطهار(عليهما السلام) حيث مثل هذه المنهج أيما تمثيل كأعلى قمة في منظومة الفكر الإسلامي

قد تمكننا من تحقيق التسامح ونبذ التطرف والكراهية خدمة لهذا الوطن الواحد الموحد.

قد لعبت عائلة الشهيد الصدر دورا بارزا في المعارضة ضد النظام القمعي السابق وضد دمويته ورفضه المعلن لسياسات صدام حسين، حصل الإمام على شهرة واسعة بواسطة كتبه: فلسفتنا (١٩٥٩)، اقتصادنا (١٩٦٠)، وغيرها، وأبرز تأكيدات الإمام كان يقول دائما عن قضية الفكر والطروحات بأن الإسلام لا يحتاج إلى أفكار وإنما بحاجة إلى قائد^٢ كان أحد أبرز المفكرين الإسلاميين الذين كرسوا فهما خاصا وموضوع بحثي ذو طابعا نوعيا خاصا للاقتصاد الإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين، دون إدراجه في مصنفات القانون والفقه العامة^٣ أعطى له خصوصية فريدة حول ما يسمى بـ "الاقتصاد الإسلامي".

وبسبب مواقف الإمام السياسية الصارمة والرافضة للسلطة والنظام السياسي حينذاك، أعدم الإمام في إبريل/ نيسان ١٩٨٠ مع اخته بنت الهدى^٤ بعد إدانته نظام البعث علنا والذي اعتبره نظاما كافرا^٥ وبذلك يكون الإمام قد دون الكثير من نصوص التشيع الثوري الرئيسية في الستينات^٦ حتى يومنا هذا ظل الإمام منارة استلهم للفكر الثوري من أجل النهضة والتغيير وتحسين ظروف العيش وإقرار مبادئ التسامح والتعاون والدعوة لنبذ العنف والتطرف، والتأكيد على أن المسلمين أمة واحدة، وشعب واحد لا فرق بين سني ولا شيعي أو غيرهم.

فكان الإمام الشهيد حقا مفكر الإسلام وفيلسوفه، ومفجر الثورة الإسلامية في العراق أثرى المكتبات العربية والإسلامية كمفكر، والعقول كثائر وقائد.

سوف نسلط الضوء في المحور التالي الفكر السياسي للإمام لتوضيح ماهية مفهوم التسامح كإشكالية دراسة.

المحور الثاني: الفكر السياسي للإمام الشهيد

يمتاز فكر الإمام الشهيد محمد باقر الصدر بالتنوع من حيث الموضوعات التي تناولها، سياسية، دينية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، موسوعة شاملة، والتي قدم لها معالجات حقيقية تقترب من طروحات ابن خلدون من حيث واقعيتها، صلاحيتها وقدرتها على التماشي مع معطيات العصر والمرحلة، حتى غدت تلك الأفكار مقدمة للاستقامة والنهضة والنجاح حال الأخذ بها على محمل الجد والسعي الحقيقي بعيداً عن منطق الإيديولوجيات والطروحات السياسية المصلحية.

فما تحمله ذاكرة الثقافة الفكرية للإمام الشهيد ليست مجرد فكر سياسي أو ديني وحسب؛ بل هو فكر سياسي؛ ديني؛ اجتماعي، اقتصادي؛ ثقافي متعدد؛ أستطاع أن يؤسس لمشروع نهضوي إسلامي كبير؛ كان ولا زال بحاجة إلى اهتمام بالغ في هذه العقلية الكبيرة؛ ومن الضروري أن تتحول مؤلفاته إلى مناهج دراسية يسترشد بها الباحثين والكتاب والمهتمين بالشأن العربي والإسلامي في بناء منظومة قيم تصلح لتكون "حجر الأساس" لمشروع إسلامي حضاري يسعى لتحقيق النهضة والتنمية المستدامة؛ وخلاص الأمة من كهوف الفكر الظلامي الذي يطيح بمكتسبات الأمة التاريخية ومقدراتها، وهذا لا يتم إلا بتحقيق قيم الإنسانية التي ركز عليها فكر الإمام الشهيد^٧.

مثل كتابه "الأسس المنطقية للاستقراء" رغم أنه الأقل شهرة إلا أنه من أكثر مؤلفات الشهيد الصدر التي برزت عبقريته العلمية^٨ ووضعت في مصاف مفكري الأمة العربية والإسلامية أشار له الكثير من المؤرخين والباحثين بالبنان وصفو الفكر ونقاء الطرح.

حيث لفت حنا بطاطو الانتباه إلى أهمية الإمام الشهيد في دعم وتنامي حركة المقاومة الإسلامية السرية في العراق، واستحالة تجاهل أهميته في انبعاث الحركة

السياسية في العراق^٩ فالإسلام الثوري الداعي للتغيير والإصلاح ومقارعة الجور والظلم لا يمكن أن يتجاهل الدور الحيوي للإمام الشهيد.

فيما تغيرت صورة الدكتور شبلي الملاط* الذي تعرف على الشهيد بعد تعليق صورته في بيروت بين عام ١٩٨١ _ ١٩٨٢ _ أي بعد إعدامه _ بأنه كشف الوجه الفكري والفلسفي للإمام غطت شهرته السياسية بسرعة وجيزة تزايدت بعد استشهاد^{١٠} وعن كتاب "اقتصادنا" الشهير قال الدكتور أحمد كمال أبو المجد بأنه من أشهر الكتب الشيعية في الاقتصاد الإسلامي^{١١} وأضاف الدكتور الملاط بأنه كتاب فريد بغياب أي نعة طائفية على تحليله ومصادره^{١٢}، وأشار لهذا المصنف الكثير من الباحثين العرب والمسلمين المهتمين بالشأن الإسلامي.

فيما يقول الكاتب زكي الميلاد: بأن كتاب الإمام الشهيد: "معالم في الأصول" الصادر في ١٩٦٥ بكونه أول من حمل في عنوانه التجديد^{١٣} الذي وجد الدكتور حسن حنفي في هذا المصنف "الإحساس بالجدة" والواقعية. بينما رصد الدكتور عبد الله النفيسي فكر الإمام الشهيد الصدر كمرشد روحي لحزب الدعوة الإسلامية لأهم كتبه التي عدت دليل نظري لكل مقولاته وطروحاتها وهي^{١٤}:

١ _ لمحة فقهية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية.

٢ _ التركيب العقائدي للدولة الإسلامية.

٣ _ صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي.

صار من الصعوبة البالغة الحديث عن مشروع إسلامي متكامل ما لم يؤخذ على محمل الجد طروحات الإمام وفلسفته في الاقتصاد، المنطق، والاجتماع، والدين، والسياسة.

إذ ينطلق فكر الإمام من النظرة الكلية الشاملة بدل عن النظرة التجزيئية، الاجتزائية، كان تقديمه لكتاب فلسفتنا بمثابة نقطة الانطلاق الفلسفي لإقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم، خصوصاً في الفلسفة الحديثة^{١٥} لها صلات بالفقه وأثر على التسامح والصلاح الديني والسياسي على حد سواء.

فبمجرد الحديث عن الفقه والاجتهاد ودعوات الإصلاح تتضح لنا صورة الدور الريادي للإمام في بث روح التسامح الديني والسياسي، فالاجتهاد يعني هنا الدعوة للنظر في المختلفات في الأمور والتي تحتاج لإصلاح وتعاون، والنتيجة المترتبة لذلك هو التأخي والرحمة والسلام والتناصح، والتصالح، فكان الإمام أول من تحدث عن علاقة الفقه والاجتهاد بالمستقبل من خلال نشره موضوع "الاتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهاد" عبر فيه عن رؤية تنويرية شديدة الوعي والإدراك الانكماش والتراجع الذي حصل لحركة الاجتهاد وتحول الفقه من فقه الأمة والمجتمع إلى فقه الفرد والأحوال الشخصية، وهيمنة النزعة الفردية على ذهنية الفقيه، وعلى التفكير الفقهي بصفة عامة^{١٦}.

إذ أكد الإمام على مبدأ عدم المباداة بالقتال^{١٧} الذي انتهجه الإمام علي (عليه السلام) وهو أحد ركائز التسامح التي انطلق منها فكر الإمام الشهيد، وتتدخل قضية الوحدة بين المذاهب على الفور في بطانة التسامح، وتنتهي بأن تكون نتيجة حتمية لها، ويشهد للإمام الشهيد _ إضافة للإمام محمد محسن الحكيم، والشيخ محمد مهدي القاصفي، والشهيد الصدر نفسه _ بأنهم كانوا من كبار العاملين لتوحيد السنة والشيعة^{١٨} إلى جانب محاولات تقريب سابقة ولاحقه، وهي إشارة واضحة لفكرة التسامح في فكر الإمام الشهيد الذي قال قولته المشهورة: السنة أخوتنا ومنا وحين يخاطب السني فهو بنفس العبارات والسياقات التي يخاطب بها الشيعي بأقواله الماثورة

والخالدة للتاريخ: (بذلت وجودي؛ من أجل السُّنيِّ، والشَّيعيِّ معاً)، وكذلك: (فأنا معك يا أخي وولدي السُّني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشَّيعي).

المحور الثالث: مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد

يعرف التسامح من المفاهيم المهملة والتي لم تنال نصيب من الحديث حيث غالباً ما يتطرق الباحثون عن التطرف، العنف، التعصب كنقائض للتسامح ولم يتبادر لأحد الالتفاتة لهذا الخطأ العلمي، وننوه هنا دعوة للتركيز على التسامح وجعله الأصل في البحوث والمؤتمرات وأوراق العمل بدل التطرف، أي جعل التسامح ثابتاً والتطرف هو المتغير في معادلة البحث العلمي (مؤلفات، بحوث، مؤتمرات، ندوات، حلقات نقاشية، ورش عمل، وغيرها).

حيث يعرف التسامح بأنه إقامة تعايش سلمي لمختلف العقائد داخل الدولة نفسها^{١٩}، وبكونه القدرة على تحمل الرأي الآخر والصبر على أمور لا يستسيغها أو يرغب بها، وهو محطة لتجاوز حالة التشردم والانقسام القائم على أساس الدم أو القومية أو الدين أو الطائفة أو القبيلة وغيرها^{٢٠} وقد وردت كلمة التسامح في القرآن بمعان أخرى كالصفح والإحسان، وهما ضد التعنت والتطرف والغلو، أي بمعنى أن التسامح يعطي دلالة للصفح والعفو والإحسان^{٢١} وهو إشارة بالغة إلى أن الإسلام دين رحمة وتسامح، وهذا هو منطلق الإمام الشهيد "منطلق قرآني".

وإن تحقيق شرائط التسامح بحاجة لإطار ضابط يحققها، وهذا الإطار هو الدولة التي عرفها الإمام بأنها ظاهرة اجتماعية أصيلة في حياة الإنسان وأن الناس كانوا أمة واحدة في مرحلة تسودها الفطرة ويوجد بينها تصورات بدائية للحياة وهموم محددة وحاجات بسيطة^{٢٢}.

بينما يقوم التسامح على أسس ثابتة لتأهيل المجتمع ونبذ الاحتراب وأبرز تلك الأسس هي: حقوق المواطنة، سيادة القانون، إعادة تشكيل قيم التفاضل، إطلاق

الحريات العامة^{٢٣} وهذه هي تأكيدات الإمام الشهيد على حق المواطنة وتعزيزها وسيادة القانون لرفضه أو نفيه، وإطلاق الحريات الطبيعية والسياسية بما يتناسب مع الإطار والذوق العام، حيث لا وحدة وطنية ولا نظام سياسي ناجح ومتعايش سلمياً بدون تلك الأسس.

فيما يعتقد الإمام إن هدف الدولة هو تحقيق الحرية والسلامة والأمن والاستقرار والتعايش لمواطنيها، أذن فمهمة الدولة وغايتها عند الإمام هو "إيجاد موازين تحدد الحق وتجسد العدل"^{٢٤} وهي دلالة واضحة على تأكيد التسامح في فكره الديني والسياسي والاجتماعي، بمعنى أدق إن التسامح في فكر الإمام متلازم، وثابت، وأصيل، وليس متغير، أو ثانوي أو هامشي على الطرح، فالحق والدعوة إليه، والعدل تجسيده ما هو إلا أرضية لإقامة منهج التسامح عند الإمام، وهذا يتطلب الاجتهاد في النص، والإمام أجاد في ذلك من خلال التأكيد على التجديد في الفكر الإسلامي، حيث يوصف أحد الباحثين بأن كتاب الإمام الشهيد: "معالم في الأصول" الصادر في ١٩٦٥ بكونه أول من حمل في عنوانه التجديد^{٢٥} الذي وجد الدكتور حسن حنفي في هذا المصنف "الإحساس بالجدّة"^{٢٦} وهذا له صلة بقضية التسامح والسعي للتعاون والتناصح والتآخي.

ولضمان ذلك الحق داخل إطار الدولة وبروازها، فهو أكد على المبدأ "المونتسيكوي" أي مبدأ الفصل بين السلطات بحيث تحد كل سلطة، أخرى (التشريعية، التنفيذية، القضائية)، الغاية منه عند الإمام هو إحداث التوازن داخل نية الدولة الإسلامية^{٢٧} فالتوازن والإقرار وعدم الهيمنة هو منهج قرآني أولاً، ومدخل للتسامح ثانياً، لهذا كانت جهود الإمام تنطلق من فكر القرآن، ومن فقه الواقع المستجيب للنوازل والمستجدات التي تطرأ على العصر ومتغيراته، فهو كان واقعياً في طروحاته مؤكداً

على ضرورة أن تستجيب الدولة للتنوعات، بل مؤكداً أن التنوع حق قرآني، وفكر آل البيت عليهما السلام، في التعامل مع الآخر وقبوله وعدم تنفيره، أو إلغائه، منهج الأطهار السليم، فالإمام لا يخشى على التوازن ما دامت السلطة مصدرها الله (عز وجل) والشريعة الإسلامية هي التعبير الموضوعي لها.

يمكن القول هنا إن الإسلام في الفكر الصدري هو دعوة تسامحية أخوية تدعو للوحدة الوطنية والتآلف بين الأطياف المختلفة وللم شمل والتكاتف والمواخاة وعدم التنازع، تأكيداً منه على إن الإسلام دين رحمة يدعو للتناصر والتناصح لا البغض والكراهية وهذا ما أعطى لفكر الإمام بعداً عالمياً أشمل، وهذا هو جل ما نحتاجه اليوم من الانتهاز من قيم الإمام الشهيد، والسير على خطاه من أجل مجتمع حضاري متقدم^{٢٨} فكراً واقعياً يستجيب لمتطلبات العصر ونواضله.

المحور الرابع: إمكانية تطبيق منهج الإمام الشهيد على الوضع الراهن. انطلاقاً من الواقعية التي امتاز بها فكر الإمام الشهيد ونزولها لمطالب الجماهير لا الترفع عليها أو تجاوزها، هذه الفلسفة التي تنظر للواقع بدل السطحية، التمني، وجملته مفاهيم: "الينبغي"، "اليجب"، "التمني"، كان فكر الإمام فكر جمهور، فكر أمة جاء لمعالجة هموم الناس والتعايش معهم، ومن هنا يمكن أن يفيد تجربتنا السياسية في العراق من حيث تدعيم ركائز النظام السياسي، المصالحة الوطنية، التعايش السلمي خصوصاً لمجتمعات ما بعد النزاع، نبذ التطرف والتكفير المتشدد، بناء وحدة وطنية رصينة، وتحقيق السلم الأهلي والتجانس الاجتماعي.

حيث كان ولا زال الشهيد الصدر يمثل رمزاً للوحدة الوطنية والأخوة الإنسانية، والمحافظ على تراب الوطن وصون حدوده السياسية وسيادة نظامه، والذائد بفكره النير عن مقدسات الأمة الإسلامية وكرامتها الذي قدم روحه فداءً للكلمة الحرة

والفكر النوراني، فكان مثال التضحية الانسانية الجليلة، والمنبر الذي ظل يصحح _ حتى آخر حياته _ بالحق والعدالة والأخوة الإنسانية والسلام والأمن ورفاهية الفرد والمجتمع^{٢٩} والفائدة عظيمة من فكر الإمام الذي شدد على قول الإمام الكاظم (عليه السلام) على الوالي _ في حال عدم كفاية الزكاة _ أن يمؤن الفقراء من عنده بقدر سعتهم حتى يستغنوا وهو هدف ثابتا لولي الأمر في سياسته الاقتصادية والاجتماعية وهو أن يسعى لتأمين حد الكفاية في المجتمع حتى يتحقق غناهم (أي استغناؤهم عن الناس)^{٣٠} أي ربط الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية بالتسامح ووثق بينهما، حيث التمكين والرفاهية هي الأخرى منطلق ينحو إلى التقارب، التعاون، عكس الفقر والجوع والفاقة التي تساعد على التفكك والتنازع والتناحر وعدم التجانس، والفائدة هنا لتجربتنا هو استقاء هذا المبدأ والأساس التعويل على النظام السياسي ككل في تحقيق ذلك المبدأ باعتباره هو ولي الأمر اليوم المنتخب برضا شعبي.

حيث ينبري التوازن في فكر الإمام بخصوص الدولة إنه يريد لها دولة تتسم بشائية (الإلهي البشري) أعتقد أنه يؤكد هنا على ضرورة الالتزام المعياري بأخلاقيات القرآن الكريم من جانب (الإلهي)، وترك التعاطي والاستجابة وتقرير المستقبل السياسي بكل حرية للشعب، وهذه قلما نجدها في فكر معاصر نحن أحوج إليه اليوم.

فمنطلق الإمام يؤكد على ضرورة قيام الدولة ولكنه يؤكد بالوقت نفسه إعطاء العقل السلطة الكاملة لتقرير ما يمكن أن ينفعهم ويرشدهم نحو المزيد من التقدم والاستقرار السياسي وتقريب وجهات النظر بين الفرقاء والمختلفين، وهو بذلك يؤكد على إن لآبناء الشعب العراقي الحق في ممارسة حقوقهم المشروعة بكفاءة وشجاعة لتقرير حق إقامة الدولة الإسلامية هنا^{٣١} ولا فرق بين المواطنين،

الكل سواسيه وهذا هو منهج الإمام الشهيد، ومنهج الإسلام والقرآن وآل البيت الأطهار (عليهما السلام).

الخاتمة

تبقى القيم الروحية في فكر الإمام الشهيد منارة ومدرسة تحذو بها الأجيال إذا ما رغبت في تأكيد النهضة والتقدم والتأسيس لدولة وطنية ذات فلسفة اقتصادية إسلامية ونظام سياسي يصلح لمجتمعات عصرية، أجد طروحات الإمام الشهيد مقاربة بطروحات عبد الرحمن ابن خلدون من حيث واقعيتها، صلاحيتها لأزمان لم يعيشها المفكرين، وبالتالي فهي أفكار لا تتصف بالمثالية الطوبائية بقدر ما تقترب من الواقع وتعيشه وتتعامل مع معطياته، وتحاول معالجة إشكالياته، أما لو افترضنا اخفاقنا في الأخذ بتجربة الإمام، فالعلة في سوء تقديرنا، أو تجاهلنا لذلك الفكر المعطاء، وما علينا إلا التمسك بفكرة التعاون، التناصح، التأخي بين الطوائف طبقا لمنهج الإمام، وعودة لمدرسة آل البيت الأطهار (عليهما السلام).

إذ كان استشهاد الإمام الصدر حدثا مصدقا لأفكاره وشاهدا عليها وعلى الفكر الإسلامي، وكان إعدامه من أعظم فواجع الفكر الإسلامي، فقد توج الإمام الصدر عظمته بتلك الشهادة وبعث في الأمة روحا وصحوة ويقظة حيث كان رسوليا في فكره وحسينيا في شهادته^{٣٢}.

ختاما فقد أدى الإمام الشهيد مهمته ورسالته للبشرية أجمع، ونحن الذين لم نؤد مهمتنا ورسالتنا لأننا لم ننجب صدرا بعد الصدر.

- ^١ زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد ، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤)، ص ١٥٩.
- ^٢ السيد صدر الدين القبانجي، المذاهب السياسية في الإسلام، ط ٢، (بيروت: دار الأضواء للنشر، ١٩٨٥)، ص ٩.
- ^٣ أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، نصير مروه، ط ٢، (بيروت: دار الساقى للنشر، ٢٠١٦)، ص ١٢٨.
- ^٤ التي كانت كاتبة مشهورة.
- ^٥ هانيس هالم، الشيعة، ترجمة: محمود كيببو، (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠١١)، ص ١٧١.
- ^٦ أوليفيه روا، مرجع سابق، ص ١٧٩.
- ^٧ حسام كصاي، "الفكر الإنساني للشهيد الصدر: مشروع حضاري كبير من أجل الإصلاح والتهضة"، موقع الاجتهاد الإلكتروني، بغداد، على الرابط التالي:
^٨ زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد، مرجع سابق، ص ١٥١.
- ^٩ راجع: مقال نشره بطاطو في "ميدل إيست جورنال"، واشنطن، ١٩٨٢.
- * صاحب كتاب: "تجديد الفقه الإسلامي ... محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم"، ترجمه: غسان غصن، في بيروت عن دار النهار للنشر، ١٩٩٨.
- ^{١٠} زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد، مرجع سابق، ص ١٥٦.
- ^{١١} المرجع نفسه، ص ١٦٤.
- ^{١٢} المرجع نفسه، ص ١٦٥.
- ^{١٣} زكي الميلاد، تجديد أصول الفقه، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣)، ص ٢٦٠.
- ^{١٤} د. عبد الله النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية، ط ٢، (الكويت: مكتبة أفاق للنشر، ٢٠١٤)، ص ٦٧.
- ^{١٥} الشهيد السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، (بيروت: دار التعارف للنشر، ١٩٨٢)، ص ٥٧.
- ^{١٦} زكي الميلاد، من التراث، مرجع سابق، ص ١٦٠.
- ^{١٧} الشهيد السيد محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، تحقيق: عبد الرزاق الصالحي، ط ٢، (قم: دار الهدى للنشر، ٢٠٠٦)، ص ٤٠٤.
- ^{١٨} منير سفيق، الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ثورات، حركات، كتابات، (بيروت: الناشر للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ٧٧.

- ١٩ فريديريك وورم، الفلسفة في ١٠٠ كلمة، ترجمة: د. محمد جديدي، (الرباط: دار الأمان للنشر، ٢٠١٥)، ص ٩١.
- ٢٠ د. شعبان، عبد الحسين، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، ط ٢، (أربيل: دار أراس للنشر، ٢٠١١)، ص ٧٥.
- ٢١ شوقي أبو خليل، ص ٤٥.
- ٢٢ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧٠ _ ٧١.
- ٢٣ أنظر: ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللا تسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات، (بغداد: مرز دراسات فلسفة الدين، ٢٠٠٦)، ص ٨٢ وما بعدها.
- ٢٤ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧١.
- ٢٥ زكي الميلاد، تجديد أصول الفقه، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣)، ص ٢٦٠.
- ٢٦ المرجع نفسه، ص ٢٦٢.
- ٢٧ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧١.
- ٢٨ حسام كصاي، مرجع سابق.
- ٢٩ المرجع نفسه.
- ٣٠ د. محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي: ولاية الفقيه نموذجاً، (بيروت: دار الهادي للنشر، ٢٠٠٢)، ص ٦٤ .. أنظر: محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، (بيروت: دار التعارف للنشر)، ص ٥٤ _ ٥٥.
- ٣١ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧١.
- ٣٢ زكي الميلاد، من التراث، مرجع سابق، ص ١٧٠.
- قائمة المراجع
- _ أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، نصير مروه، ط ٢، (بيروت: دار الساقى للنشر، ٢٠١٦).
- _ حسام كصاي، "الفكر الإنساني للشهيد الصدر: مشروع حضاري كبير من أجل الإصلاح والتنهضة"، موقع الاجتهاد الإلكتروني، على الرابط التالي: _
- _ زكي الميلاد، تجديد أصول الفقه، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣).
- _ زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤).

- _ شعبان، عبد الحسين، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، ط ٢، (أربيل: دار أراس للنشر، ٢٠١١).
- _ صدر الدين القبانجي، المذاهب السياسية في الإسلام، ط ٢، (بيروت: دار الأضواء للنشر، ١٩٨٥).
- _ عبدالله النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية، ط ٢، (الكويت: مكتبة أفاق للنشر، ٢٠١٤).
- _ فريديريكوورم، الفلسفة في ١٠٠ كلمة، ترجمة: د. محمد جديدي، (الرياض: دار الأمان للنشر، ٢٠١٥)، ص ٩١.
- _ ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات، (بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ٢٠٠٦).
- _ محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، (بيروت: دار التعارف للنشر).
- _ محمد باقر الصدر، فلسفتنا، (بيروت: دار التعارف للنشر، ١٩٨٢).
- _ محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، تحقيق: عبد الرزاق الصالحي، ط ٢، (قم: دار الهدى للنشر، ٢٠٠٦).
- _ محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي: ولاية الفقيه نموذجا، (بيروت: دار الهادي للنشر، ٢٠٠٢).
- _ منير سفيق، الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ثورات، حركات، كتابات، (بيروت: الناشر للطباعة والنشر، ١٩٨٦).
- _ هاينس هالم، الشيعة، ترجمة: محمود كبيبو، (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠١١).

الملخص:

قدم الفكر السياسي والاجتماعي والديني للإمام الشهيد محمد باقر الصدر رؤية واقعية مفهوم التسامح في الفكر الإسلامي وعن مفهوم الآخر في منظور الإطار الاجتماعي وداخل الدين الواحد إنطلاقاً من قاعدة احترام الآخر والدعوة للوحدة ونبتذ التفرقة والعفو والتعاطف والتآخي التي هي واحدة من أهم مرتكزات التسامح التي جاء بها الإسلام، حيث تعمقت كتابات الإمام الشهيد في هذا المضمار، وعن عطائه العلمي، والثقافي، والزوجي، والأخلاقي، والاجتماعي، وعن جهاده من أجل الإسلام والدين، والمسلمين بكل انتماءاتهم.

فهو داعية وحدة ومحبة وتسامح، كان في خطابه يقول دائماً: (بذلت وجودي؛ من أجل السنّي، والشيعي معاً)، (فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي، وأنا معكم بقدر ما أنتما مع الإسلام)، ومن هنا نلتمس التسامح وشغفه ودعوته لوطن واحد وأمن ومستقر.

ولعل الندرة في التركيز على فكرة التسامح في فكر الإمام الشهيد هي أحد دوافع الكتابة عن الموضوع، ثم اهتمامه بمحور الأنا والآخر لكونها ذات صلة بالموضوع، ارتأت الدراسة أن تناقش هذه الورقة تلك الفكرة ابتداءً من إشكالية بحثية تتمحور حول ما هي مرتكزات التسامح في فكر الإمام الشهيد، وتنبثق عنه أسئلة فرعية أخرى من قبيل: ما هي شروط التسامح في فكر الإمام الشهيد، ما هي الرؤية العلمية للتسامح في فكر الشهيد، وكيف يمكن استقاء التجربة وتطبيقها على ضوء الواقع من أجل عراق واحد وموحد وأمن ومستقر.

أما منهج البحث فسوف تركز الدراسة على منهج تحليل الخطاب إضافة لمنهج التحليل النقدي، أما أهداف البحث فهي: ^١ - محاولة توضيح فكر التسامح عند الإمام

الشهيد، ٢_ محاولة الاستفادة من تجربة الإمام بتطبيقها في ضوء الواقع الراهن، ٣_ أن الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية يتحتم التأكيد على فكرة التسامح خصوصاً في تجربة الإمام الشهيد.

أما محاور الدراسة فقسمت إلى خمسة محاور، المحور الأول: الإمام الشهيد: حياته ونشأته وظروفه، المحور الثاني: الفكر السياسي للإمام الشهيد، والمحور الثالث: مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد، والمحور الرابع: الأنا والآخر في فكر الإمام الشهيد، والمحور الخامس: إمكانية تطبيق منهج الإمام الشهيد على الوضع الراهن ومحاولة الاستفادة منه لبناء دولة مواطنة حقيقية. كلمات مفتاحية: التسامح، الأنا، الآخر، الوحدة، المواطنة، الشهيد الصدر.

The concept of tolerance in the thought of Imam martyr Mr. Sadr
Prof. Dr.Mshhin Zaid Al-Tamimi, University of Mustansiriya
M. Hossam Gassay / University of Tikrit

The political, social and religious thought of Imam Mohammed Baqir al-Sadr presented a realistic vision of the concept of tolerance in Islamic thought and the concept of the other in the perspective of the social framework and within the one religion based on the basis of respect for the other and the call for unity and renunciation of discrimination and pardon and sympathy and brotherhood which is one of the most important pillars of tolerance, , Where the writings of the martyred Imam deepened in this regard, and his scientific, cultural, spiritual, moral, social, and his struggle for Islam and religion, and Muslims of all affiliations.

He is an advocate of unity, love and tolerance. In his speeches, he always says: "I have made my presence, for the sake of the Sunnis and the Shi'ites together." (I am with you, my brother and my son, as much as I am with you, my brother and my Shiite child. Here we seek tolerance, passion and a call for a secure and stable homeland.